

* تضامن و رقي *

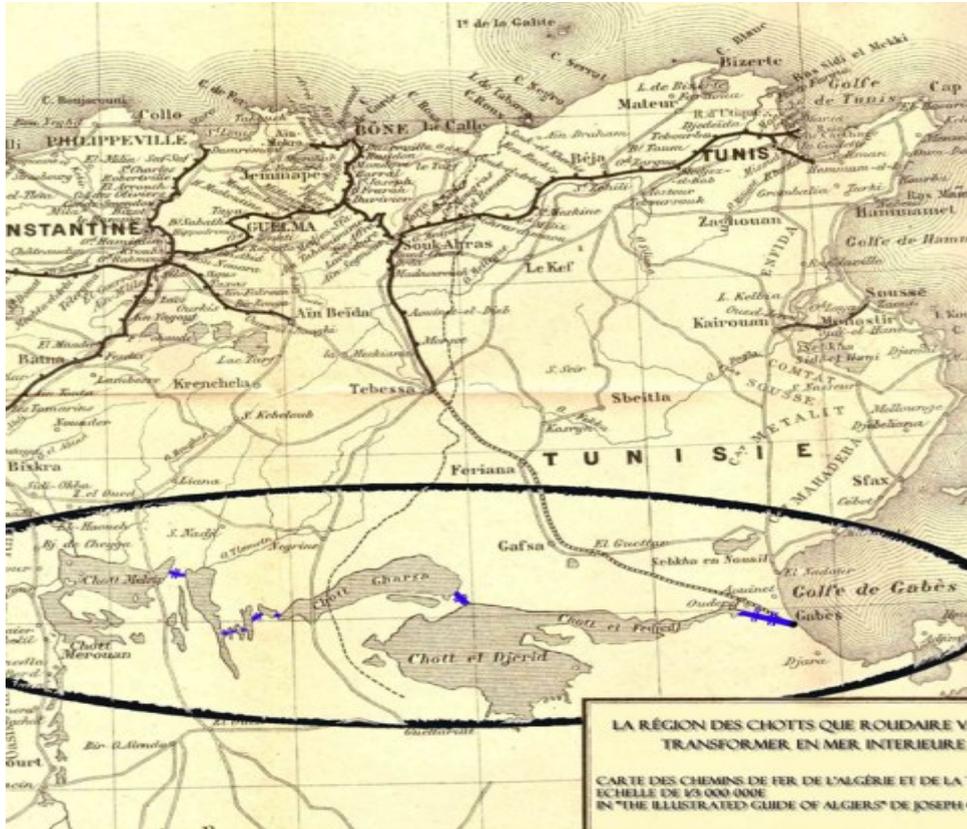
Solidarité et progrès

B.P.27 / 92114 CLICHY CEDEX / 01 76 69 14 50

w.w.solidariteetprogres.org

إفريقيا: من البحر الداخلي لـ "رودير" الى الثورة الزرقاء

(الإقتصاد) في: 2 نوفمبر 2010



ايف بومي

نشر الطبوغرافي الفرنسي فرانسوا ايلي رودير (1836-1885) بتاريخ 1874، مقالا موضوعه "بحر داخلي في الجزائر" استلهم منه جول فيرن (1828-1905) قصته بعنوان "غزو البحر".

كونه كان مقتنعا باكتشاف سبخات مالحة (الشطوط) ممتدة الى خليج قابس في تونس، اقترح "رودير" بدعم من مهندس قناة السويس فرديناند لسييس "1805-1894" جلب البحر بحفر قناة طولها 240 كم، مؤكدا أن

ذلك سيعود بالفائدة على تعديل المناخ المحلي فضلا عن جعل المنطقة *مخزنا رائدا للقمح*. لم يتحقق المشروع في تلك الفترة لأسباب حسنة و سيئة عديدة، إلا أن الحاجة ملحة الى إعادة فتح هذا الملف اليوم نظرا للتقدم العلمي و التكنولوجي الحاصل منذ ذلك الوقت.

تمهيد

تبدو الشعوب المغربية متخوفة في بداية القرن الواحد و العشرين، إذ أن اقتصادياتها الوطنية مضطربة و أنانية الثقافة الحديثة توسع من بؤرة الكارثة، فالقواعد الاقتصادية لمختلف هذه البلدان تتوافق في نقطة هي: تبعيتها الخارجية لعالم اقتصاد حر في وضع متفتت، هذا ما يصب في غير صالح هذه الدول فضلا عن العواقب الخطيرة لذلك على الصعيد الداخلي: رشوة، اهتزاز القدرة الشرائية، عدم مساواة، شباب منسيون، الخ ...

يفرض الخروج من هذا السحن سلك مسار إجباري تطرق الى محاوره الرئيسية بالتفصيل عالم الاقتصاد و السياسي الأمريكي "لاندون لاروش"، من أهم نقاطه:

1. إعادة السيطرة على المالية العالمية بالرجوع الى القرض العمومي، و فصل البنوك حسب معايير قانون "غلاس ستيفال" التي تبنها الرئيس الأمريكي "فرانكلين روزفلت" في 1933 لكسر حكم هذه القلة المالية الامبريالية.
2. تجريد عمالئهم الأساسيين في البيت الأبيض و في كل مكان آخر من السلطة.
3. إعادة بناء مشاريع منشآت قاعدية ضخمة تركز على أحدث التكنولوجيات، تؤسس لتحول جذري لجغرافيا القارة.

قد يكون مصدر الاندفاع الكثيف لهذه النهضة مشروع *تحالف شمال أمريكا للمياه و السلطة*، إذ يتعلق الأمر بمشروع ضخم يهدف الى جمع جزء من تدفقات شمال أمريكا لتحويلها الى المناطق الجافة في الولايات المتحدة و المكسيك. يدخل هذا المشروع ضمن تحالف القوى الأربعة: الولايات المتحدة الأمريكية، روسيا، الهند و الصين، الذي اقترحه "لاروش"، كونه الوحيد الذي من شأنه إيجاد حلول للأزمة.

لا يتعلق الأمر هنا بمشروع كبير لتهيئة الإقليم، بل بثورة ثقافية حقيقية. و في هذا الصدد، نطلق هذه الفكرة المعدلة لـ "فرانسوا ايلي رودير". في واقع الأمر، و حتى إن مضى عليه 140 سنة إلا أن الفلسفة التي استلهمت منها تعود الى آلاف السنوات عندما وجد الإنسان نفسه مجبرا على تعديل بيئته لنفسه و لتحسين الطبيعة نفسها، فباستعانتها بملكاته المبدعة، حدد بذلك وضعه الحر.

لننظر في المستقبل لإحياء هذه القصة.

1) مدينة رودير – الواحات، 2050

لن تلبث مدينتنا حتى تجاوز نصف المليون نسمة، فمنذ أربعين سنة و عوض تسابق شباب المغرب الى ضواحي باريس، برلين، أمستردام أو لندن، تجدهم هنا، يحصلون على مرتبات جيدة فضلا عن استفادة الأطفال من أفضل رعاية صحية. لقد سمح البحوث في ميدان الكيمياء الزراعية بخلق آلاف مناصب العمل على مر الأربعين سنة الماضية.

كل هذا جاء نتيجة لـ "الثورة الزرقاء" التي وفرت المياه بعدما كانت مناطق صحراوية بأكملها جافة، أكبر صحراء في العالم.

منذ 2011 و على الرغم من بقاء جيوب صحراوية جافة، سمح مخطط "بومبي- رودير" بخلق بحيرات و آلاف الواحات تأوي بها مدينة أو عدة مدن جديدة موصلة فيما بينها بشبكة نقل سريعة التواصل بالبلدان البعيدة. خضر سهلة البلوغ و أجمل الحقول في العالم، هذه هي "مدينة رودير – الواحات" !
و هنا يسألنا أولادنا: "أبي، احكي لي المراحل الأربعة للثورة الزرقاء !"

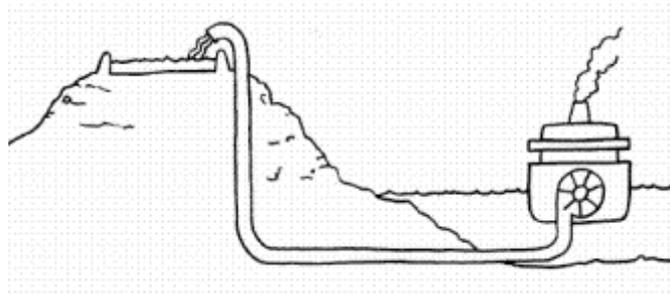
أ) المرحلة التونسية: من قابس الى جريد فيل



لنعد الى البداية. في يوم جميل من عام 2011، وصلت سفينة قادمة من الشمال الكبير مشحونة بحمولة غريبة لترسو في قابس، الميناء التونسي للصيد و الفوسفات. إن كان ذلك أقلق القدماء و السواح الكهول الذين كانوا يتسمرون في جزيرة "جربة"، إلا أن الشباب كانوا يطوفون حول الجسم الغريب و هم يتفحصونه.

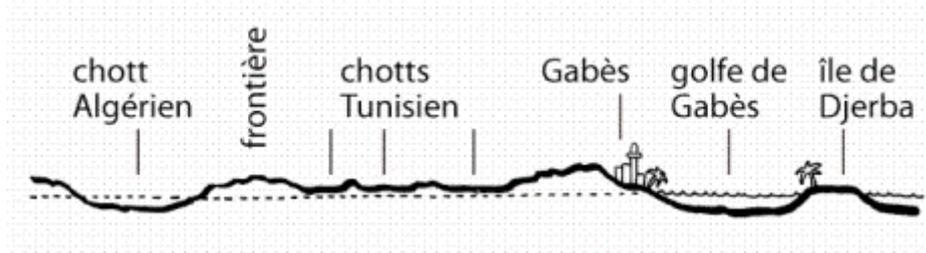
و تم تركيب خزان على مرتفعات الهضاب المتاخمة للبحر مع تجهيزه بقناة ممتدة حتى الخليج بل و حتى المرفأ.

بعد مضي شهر، امتلأ الخزان حتى الحافة فتفاجأ الناس في الضواحي عند رؤيتهم خزان ممتلئ بمياه البحر على مرتفعات الهضاب. من أين أتى هذا الماء المالح؟ و هنا اكتشف القدماء الجسم الغريب العائم الذي لم يكن سوى محطة نووية تضخ بفضل طاقتها الماء للأعلى!



أما الخزان فلم يكن غير مجمع مياه لاستخدامه في الفترة القادمة، إذ أن الماء العائد الى البحر يسمح بإنتاج الكهرباء المائية.

و بعد شهر، تراكمت أصوات أخرى: كان هرير المصنع الكهربائي المشغل لمياه الخزان ينتج الكهرباء لكل المدينة، و خاصة المصنع الجديد الموجه لتصفية المياه. كان الماء الجديد يوزع على شبكة مدينة قابس أين أصبح غزيرا في منابعها و مختلطا بأشعة الشمس ليكون أجمل الصور.



أما الأراضي التي كانت صحراء قاحلة تمر بها قطعان الغنم، تحولت الى ورشة كبيرة منذ الأيام الأولى، حيث أحيط شط الفجال بقناة مزودة بفضل مصنع المياه العذبة بقابس.

ماذا نعني بـ "الشط"؟ في تلك الفترة كان يمتد على ما يقرب 400 كم، من جنوب الجزائر و تونس في أعالي سلسلة جبال الأوراس و في بوابة الصحراء، منخفض شاسع يكون في فصل الأمطار الى مستنقعات و أودية صغيرة. و كان جزء من هذا المنخفض مغطى بالملح المبلور، و منقسم الى أحواض عديدة فرعية كان العرب يسمونها "الشطوط".

من هنا بدأ عمل ضخم كان لا بد منه لاستصلاح هذه الأراضي، نزع الملح المحبوس منذ آلاف السنين في هذه الأحواض و في عمق الأرض. لقد سمح صب الماء العذب عبر القناة في الشط الأول بغسل الأرض و تصريف المياه المالحة نحو البحر عبر قنوات تحت الأرض بطول الإنسان تم تشييدها لهذا الغرض، كما سمحت الأمطار بتسريع هذه العملية و أصبح الملح يصب في البحر المتوسط.

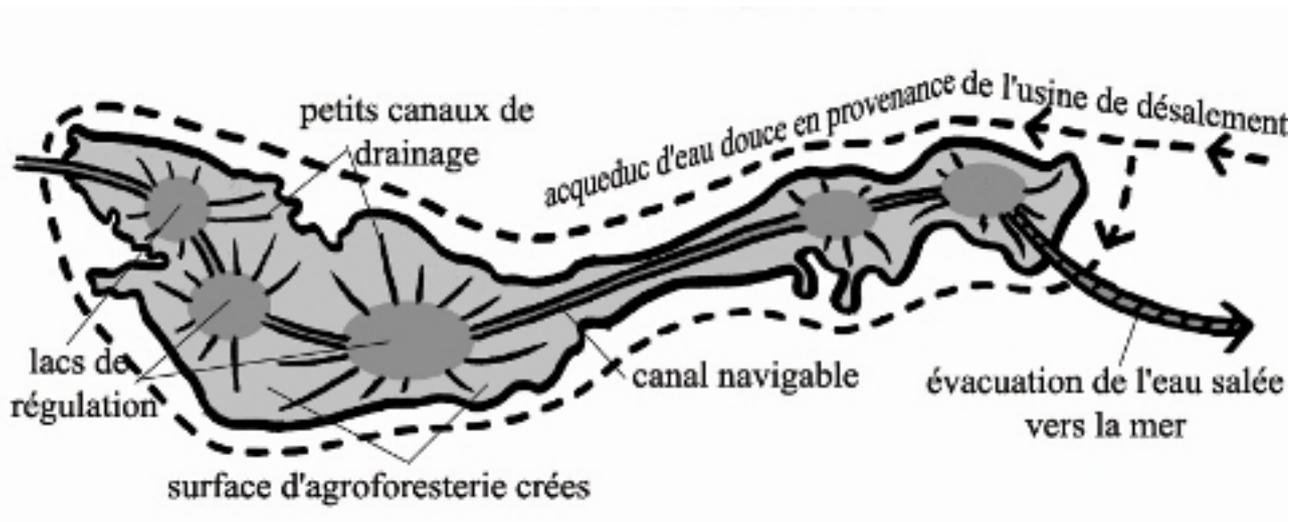
لم تكن فرحة سكان مدينة قابس الذين انبهروا بمنابتهم الفاتنة تساوي شيئا بالمقارنة مع فرحة سكان الأرياف: امكانية التمتع بوفرة المياه العذبة على مدار السنة و تعويض ذلك الماء الأجاج المالح أحدث ثورة عندهم. و إن بدا لهم كل هذا غريبا و مبهما في البداية، أصبحوا الآن متيقنين من تشغيل عجلة الثورة الزرقاء !



و بالرغم من ذلك، كان لا بد للماء وقت ليعمل، فلم يكن بقدرة أي جرافة انجاز جل هذا العمل لأن الملح المنشر حتى عمق الأرض مستحيل الاستخلاص بتلك السرعة دون اللجوء الى استعمال المياه العذبة التي سمحت للملح بالصعود شهرا بعد شهر. على الرغم من بقاء جزء منه، غير أن المخطط هيا حلا للمشكلة عبر توكيل مهمة غرس نباتات تنمو في المناطق المالحة (يجوع) قادرة على امتصاص الملح المتبقي الى مهندسي المشروع الفلاحيين. حديثا و بفضل جهود علماء التكنولوجيا الحيوية توصلنا الى زرع أنواع من الأرز الصحراوي، و لهي ثورة عالمية حقيقية. منذ ذلك الوقت أصبح لأهم الحبوب تشكيلتها الصحراوية الموجهة الى التغذية القاعدية.

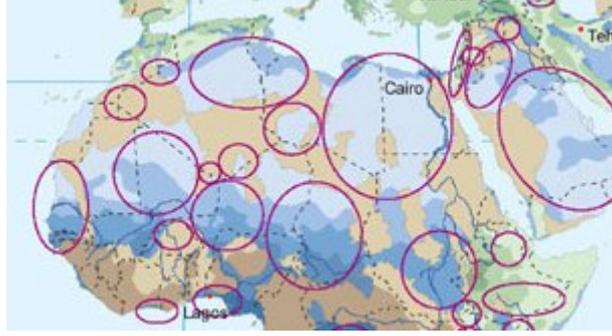
بذلك، و بعد بضع سنوات من الغسل حلت بحيرة حقيقية مكان الشط الأول، و هذه فكرة أفضل من (البحر الداخلي) لـ "رودير" الذي كان سيعقد من ملوحة الأرض. كما هو الحال بالنسبة للتجربة الهولندية المعروفة أين حول الناس البحر الداخلي الى أراضي قابلة الاستعمال، استطعنا ربح مساحات من الأراضي و الحد من التبخر بفضل شبكة من مئات القنوات الصغيرة. ثم عمدنا الى تحويل هذه السطوح الى أراضي صالحة للزراعة، إذ زرعت في البداية بنباتات صحراوية و شجيرات غير معروفة موجهة لهذا الغرض قبل أن تستخلف بأشجار النخيل.

و نظرا لقلّة المراعي و العلف، انخفضت أعداد رؤوس المواشي، و لم يعد يهتم بتربية الغنم سوى عدد من الفقراء، لكن الأرض لم تكن جافة، إذ خفضت النباتات الجديدة النامية بمحاذاة البحيرات الضغط على الأراضي المسترخية الموجودة و استطاعت بذلك إعادة التشكل. و بعد أن رجعت السكينة الى أنفسهم، أصبح المزارعون يهتمون أكثر بتربية الغنم، و بذلك أصبحت المنطقة تصدر الحليب و جبن الناقة، إذ يكثر طلب الأمهات على هذا الحليب حتى حل محل حليب البقر الأكثر تخمة للرضع. ذلك أدى الى ميلاد صناعة غذائية جديدة غير مكرزة خلافا لصناعة القرن العشرين.



بعد شط "الفجال"، جاء دور شط "الجريد" و شط "الغرسة". أصبحت وفرة المياه تجذب أعدادا كبيرة من الناس و تأسست مدينة "جريد فيل" في نفس المكان الذي كان في السابق ملاذا للحشرات. جلبت الحضارة معها الطيور و بخاصة المهاجرة منها، بعد قرون من النسيان.

و بذلك أطلقت مرحلة لا غنى عنها من الثورة الزرقاء، فوضعت الحفارات على طول شبكة القناة ليس من أجل استخراج الذهب الأسود، البترول، إنما من أجل سكب الذهب الأزرق، الماء، في أعماق طبقات الأرض - الماء الذي ينتجه مصنع تصفية المياه بقابس. و بذلك تم إحياء طبقة المياه الواقعة تحت هذا الجزء مما كان في السابق صحراء جافة. تضمن الحالة الصحية الجيدة لهذه الطبقة المائية اليوم الزراعة و الشرب على مدار اليوم.



لا شك أن الماء - المصدر الدائم للمنايع و الواحات في عمق الصحراء- كان موجودا منذ أمد بعيد. استطاع الماء أن يحفظ الرطوبة الموسمية التي كانت مشكلة الشطوط، غير أنه منذ بداية القرن XXI و بسبب استغلاله المفرط، ازدادت خطورة الضغط الممارس على الطبقة المائية، و إن لم ينقذها الإنسان كانت ستضيع. و من بين نتائج ضخ الحفارات للمياه: تغذية الأمطار التي تسقي سلاسل الجبال الواقعة على بعد مئات الكيلومترات لمختلف منابع الواحات عوض الصعود الى منخفض الشطوط.

ب- المرحلة الجزائرية: قناة الري بقابس-رودير فيل-الواحات

لم يكن كل هذا العمل في الطرف التونسي سرا على الجهة الأخرى من الحدود الجزائرية. رأينا واحات اضمحلت و تلاشت تسترجع نشاطها و بأسها شيئا فشيئا، ألوان و سلاطات تجدد عودها. و بذلك أطلقت الجزائر بدورها ثورتها الزرقاء بتأسيسها لـ "رودير فيل-الواحات".

بهذا، هيا جيش العمال الأرضية وسط شط "ملرير" و أحاطت شبكة واسعة من الحواجز بمحمل المنخفض المالح لتصنع منها أحواضا صغيرة. و لتسهيل عمل نزع الملح التدريجي، عمد هؤلاء العمال الى توصيل الماء نحو كل المساحات المنشأة حديثا واحدة تلو الأخرى بكل ما يتطلبه ذلك من صبر و إتقان، و تم تشييد مصنع تصفية إضافي في قلب هذا الجهاز لاستخلاص الملح المنتشر في الأرض و المنحل في المياه العذبة الآتية من تونس، كما تهيئة وعاء خاص لتكديس الملح بعد إعادة بلورته و تكييفه بصورة جيدة ليصبح كمادة دعم و تعزيز في بناء الطرقات و غيرها. علاوة على ذلك، تم التركيز على مساهمة الفضاء القريب و أصبحت "رودير فيل" كما يحمل المنطقة قطبا مرجعيا للجيولوجيا و العلوم الزراعية الفضائية، الكل من أجل الوصول الى نظرة شاملة و رقابة لجميع مراحل تطور هذه المساحات الشاسعة.



في نفس الوقت، بعرض قابس في تونس، تم اللجوء الى استبدال المحطة النووية العائمة بمحطات أخرى أكثر قوة بعشر مرات مع إنتاج الماء في مصنع شبيه بجزيرة في الخليج، فضلا عن خلق جو حياة رائع بالقرب من المحطة لاستقبال العمال.

و سمح تغيير القوة و الطاقة ببلوغ أحد المراحل الأخيرة: مرحلة بناء قناة "قابس-رودير فيل" الممتدة من جنوب تونس حتى الجزائر التي سمحت بمضاعفة نقاط الضخ المغذية للطبقة تحت الأرضية خاصة.

أصبح الإنسان و الطيور متوفرين بفضل توفر المياه في عمق الصحراء، و من هنا استعادت الجزائر شيئا من السيادة بفضل هذه الثورة الزرقاء. عوض تصدير المحروقات بثمان زهيد، تم تقرير تمرير الأنبوب الناقل للغاز في المناطق العمرانية حديثة النشأة في منطقة الشطوط بعدما كان في الماضي يمر مباشرة من حاسي مسعود الى موانئ البحر الأبيض المتوسط.

و هنا أنشأت الدولة في "رودير فيل" مركبا بتروكمياويا كبيرا، و سمح اعمار المنطقة بتطوير نشاطات أخرى خاصة المصانع و المناجم بعد شق الطرق و توفير شبكات النقل السريع، و وجدت تكنولوجيا القطار الهوائي المتخلى عنها في فرنسا هنا أحسن مكان لها فضلا عن تأهيل الصناعة التحويلية.



تسمح أشعة الشمس التي تحرق المياه بضمن نمو الطحالب المجهرية بأعداد كبيرة في بحيرات اصطناعية موجهة الى الاصطياف حتى، فتكفي إضافة بعض الأطعمة المهضومة كغاز الكربون و الآزوت المركب الذي مصدره غاز البترول و الفوسفات لتوفير مناخ ملائم لتربية الأسماك. أغلق مصنع الفوسفات الذي كان يلوث قابس منذ تشغيل المنشآت، و حول الى هنا لتوفر العديد من السوائل الضرورية. بهذا أمكن تطوير كيمياء حيوية كاملة حول الطحالب مع انصهار الكفاءات بالبحوث الزراعية المدارية. بذلك أصبح ميناء قابس يجلب هوة الأحجار القديمة.

أثار التعاون التونسي الجزائري خلال الثورة الزرقاء ثورة أخرى على مستوى القانون. كون الماء لا يعرف الحدود التي وضعها الإنسان، فتم اللجوء الى إعادة تقنين مفهوم حق ملكية جديد للمياه استنادا الى اتفاقية "وستفالي 1948" ليوضع حد لثلاثين سنة من الصراع، و حلت التنمية المتبادلة المؤسسة على امتيازات الآخر محل قانون الأقوى. استنادا الى رؤية "البروفيسور مزاهري"، فان "حق المياه" مستمد من ارث الفرس. إذا أصبحنا نجد اليوم في إيران، تركيا، الأندلس، الجزائر هذه المنشآت و قنوات توزع الماء بالتساوي أو بشكل دوري لعديد المستعملين، فهذا بفضل اتفاقات مبدئية و شرطة مخصصة لمراقبة حسن تطبيقها. لقد تم إحداث قانون تاريخي في هذه المنطقة الصحراوية الفارسية التي تعير اهتماما للسطح الذي تشغلونه، بل تصب كل تركيزها على مصدر مياه بتركم و كيفية اكتشافكم لها.

علاوة على تشكيلها أعشاش جوسسة، قد كانت الهيئات الدولية المؤسسة نهاية القرن العشرين للوقاية من الصراعات حول المياه المتجاوزة للحدود تريد معالجة الموضوع بنفس منطق قانون البحار: باحترام حق القرصنة الذي أعدته القوة التاريخية، الإمبراطورية البريطانية مع حقها العرفي و نظرتها الإمبراطورية. هكذا أنشأ القانون "الايجابي" المؤسسة وفق مركز القوى.

خلافًا لذلك، سمحت لنا المبادئ التي دعا إليها القانون الجديد للمياه بانتهاء الصراعات الدولية بتطبيق مبدأ التنمية المتبادلة فيما عجز القانون الايجابي العصري الغربي عن ذلك.

ج- المرحلة الصحراوية: بعد الماء، الخرق الاقتصادي

تظهر كل يوم مدن جديدة حيث توجد الواحات في أعماق الرمال و الحصى. بصفة عامة، كانت تجد لنفسها مكانا في منحدرات الجبال تاركة وراءها السهول لتبقى صحراء شاسعة قاحلة. كان عمل الجيولوجيين يتقدم بسرعة كبيرة، و كانت معرفتهم التامة بطبقات الأرض تسمح لهم بالتنبؤ بمكان ظهور المدينة القادمة. ما كان يبدو في البادئ كتماثل كبير أصبح سببا لمضاعفة الإمكانيات و ظهور مصدر خاص لمواهب جديدة كل مرة، يجذبها إليه هذا "الالدورادو".

بغض النظر عن الثورة الزرقاء، سمح محورين كبيرين للنقل عبر الطرق و عبر السكك الحديدية بفك العزلة عن الصحراء، حيث يربط الأول المغرب الجزائري التونسي ببحيرة الشاد و إفريقيا الوسطى، أما الثاني فيربط (المغرب الجزائر-المغرب الأقصى) بالدلتا الداخلية للنيجر و إفريقيا الغربية، ما أدى الى الحد من نشاط النزوح الديمغرافي نحو الشمال، مع ترك جزء من الشباب بالمغرب الأماكن المكتظة بالسكان في البحر المتوسط ليلتحقوا بهذه الأماكن المضيافة.



تمت السيطرة على فلاحة الواحات و ظهرت زراعات الحبوب و الحمضيات على امتداد مساحات خيالية تحت أشجار النخيل. و كانت الأراضي تسقى هنا و هناك صباحا، كما أنشأت مئات المناخيات المحلية من لا شيء. اليوم، ما كان في وقت مضى صحراء للنباتات، أصبح يغذي ليس فقط المغرب بل حتى القارات البعيدة، يجعل إفريقيا جد مهمة للأمم البعيدة. حل الخيزران و حشائش أخرى كما الطحالب المعدلة محل البترول لإنتاج المواد البلاستيكية، يوما بعد يوم تعيد بناء الأراضي الحية، حتى أن الزوابع الرملية أصبحت نادرة.

د- المرحلة القارية: من قابس الى بحيرة الشاد

حولت الصحراء بفضل الماء القادم من الشمال الشرقي من قابس أولا حتى الأماكن الأخرى في الجزائر، المغرب الأقصى و موريتانيا. و قرر الليبيون الذين كانوا يستغلون احتياطاتهم من المياه الباطنية في عمق صحرائهم قلب موازين "بجيرتهم الاصطناعية الكبيرة" لتطوير الجنوب: عوض السير نحو الصحراء، كان الماء العذب يسقي المناطق الساحلية. أخذت ليبيا على عاتقها منذ عدة سنوات انجاز مشروع ضخم: إعادة بعث "النيل الثاني"، نهر جاف منذ عقود اكتشف مساره سنة 2009 و أصبح يجري من جديد. أما التحول الجذري الآخر للصحراء ف جاء ثمرة التعاون بين مصر، السودان و بلدان جنوبية أخرى الذين اتفقوا منذ عشرية على تسيير مشترك لنهر النيل.

غير أن العلاقة الأكثر أهمية تكمن في جهودات إعادة تموين بحيرة الشاد التي بدأت بدورها أوائل القرن، و تبقى البحيرة الواقعة جنوب الصحراء ركيزة أساسية لنظام به ماء يمتد أسفل الشاد الى الشاد نفسه، نصفه في النيجر و ثلثه إفريقيا الوسطى أسفل الكاميرون و نيجريا.



لا يشكل مجموع هذه المخزونات المائية إلا كيانا واحدا من وجهة نظر الماء: هي حوض محبوس المياه، بمعنى منطقة قارية لا تصب أي قطرة من الأمطار فيها في المحيط لكن تظل محبوسة. لم يكن من الممكن السيطرة على الصحراء لولا الفوز بالمعركة من أجل هذا الكيان ككل. إذا كانت بلداننا اليوم تعيش في كنف حسن الحوار المجدد لعلاقات التعاون، فذلك لا لشيء سوى لالتزامنا مجتمعين اتجاه الثورة الزرقاء. استطعنا إعادة بعث ثقافة اقتسام السراء و الضراء كما المصير المشترك حول المياه عبر خلقها ثم تقاسمها. شكل ذلك نهاية الاعتماد على النفس و مواجهة كل واحد لمصيره.

إذا أصبح بمقدور الإنسان في أفق عام 2050 العيش في كوكب مارس، فهذا بفضل مجهوداتنا خاصة، لأن جعل مارس قابل للحياة لا يخيفنا فصاعدا بعد إحياء رمال الصحراء.

"فرانسوا ايلي رودير" (1836-1885)

و مشروع البحر الداخلي



من طرف ايف بومي

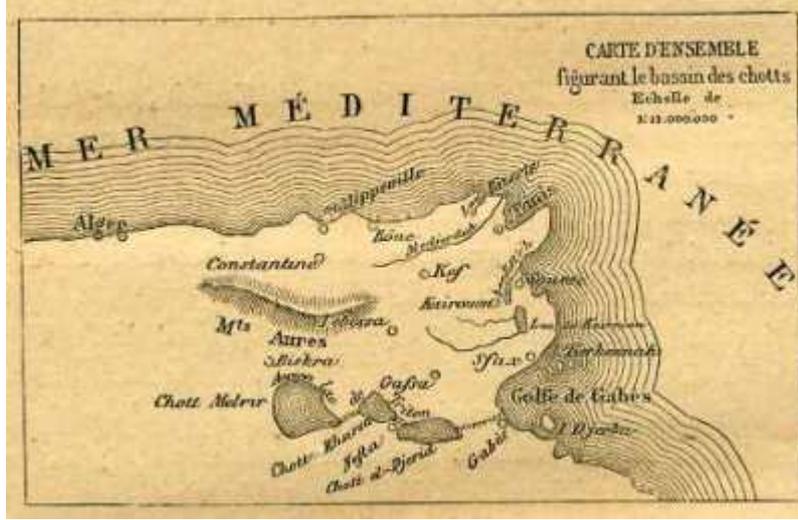
في بداية القرن XIX، رأى الثوري الفرنسي من أصول دانماركية، كونراد مالت-بران (1775-1826) صاحب كتاب الجغرافيا الرياضية، الفيزيائية و السياسية الأولى في كل المعمورة الذي نشر بداية من 1803، في الشطوط آثار بقايا جافة و محبوسة للبحر. الشطوط بحيرات مؤقتة يوجد في عمقها الملح عند جفافها. و هنا تذكر أن القدماء كانوا يتكلمون عن بحر داخلي: خليج "تريتون" الذي رصده البحارة و المؤرخون الإغريق القدماء كهيرودوت و بلوتيمي في هذا الجزء من البحر المتوسط.

17 نوفمبر 1869: لأول مرة اختلطت مياه البحر الأحمر، و انتهى مشروع فرديناند دو لوسيس (1805-1894) الى إبداع قناة السويس التي غيرت العالم. لم تعد الجبال و لا البرزخ و درجات الحرارة القصوى عائقا أمام عبقرية الإنسان. كان كل شيء يبدو ممكنا لهؤلاء، حيث أنه مع "جول فيرن" يمكن حتى للقمر أن يستضيف الخطى الضعيفة لكن المغامرة للإنسان.

اقترح المدعو فرانسوا ايلي رودير (1836-1885) الطبوغرافي بمساندة "دو لوسبس" و المجتمع العلمي في نفس يوم تدشين قناة السويس، مشروع "البحر الداخلي" في تونس. بالنسبة للبعض، كان الأمر يتعلق بتدمير عتبة قابس لإعادة خلق ما كنا نعتقده بحرا داخليا جافا بحجم يساوي نصف بحر المتوسط.



و نظرا للحماسة العامة، كلفت الحكومة في ذلك الوقت رودير بمجموعة من مهام التعرف و أعمال التمهيد في شط ملرير بالجزائر في 1874 (-40م تحت البحر)، شطي رارسة و جريد بتونس سنتي 1876 و 1878 أين تبين أن المنخفض منقطع. لاحظ "رودير" آنذاك أن شط جريد بتونس كله فوق مستوى البحر خلافا لآماله (+15م). قررت الحكومة بتشاورها مع مجلس لجنة عليا للبحر الداخلي عدم فعل أي شيء بسبب انخفاض المساحة المعرضة للفيضان (بين 6 و 8000 كم²) و تكاليف قناة طولها 240 كم (باريس، 5 ماي الى 7 جويلية 1882). في الحقيقة أن عودة التقاليد الامبريالية لفرنسا و التحديات العلمية المعتبرة في ظروف تلك الفترة هي التي ستشكل العائق.



اليوم تقوم بذلك إفريقيا المستقلة بتضافر جهود علمائها عبر أخذ أحسن ما في هذه التقاليد الفرنسية المخمدة منذ السيطرة المالية البريطانية، و التي نأمل أنما وجدتها في القوى الآسيوية الجديدة في التعاون لحصر الإقطاعات القديمة. تمت مواجهة "رودير" بحجج شبه علمية.

- "بخلق مناخ معتدل في إفريقيا، ستحدثون مناخا قطب شمالي في إنجلترا، هولندا و بلجيكا ! ستشوه كل هذه المياه المحولة محور الأرض ! تلك كانت الحجج التي واجهت مشروع رودير، فضلا عن مزاعم تافهة أخرى شبيهة بتلك التي تواجه بها الطاقة النووية اليوم كما السدود الكبرى، الخ... يتعلق الأمر هنا بعوائق إيديولوجية تعرضت إليها أوروبا في القرون الوسطى: هدوء و مالتوسية فضلا عن نظرية التوازن مع الطبيعة الغالية على الإقطاعيين، مع بعثي "مونستير" و سلطات الإقطاعيين. و جب مقاومة هذا المفهوم للعالم المهدم، و تنظيم المواطن تحقيق هذه الغاية.
- كانوا يقولون كذلك أن "الإتيان بكميات هائلة من المياه الى مكان جاف سيخلل بحالة تحت ضغط مائي دائم (أي الجفاف!)". في الحقيقة، كانوا يتخوفون من تحسن الوضعية و تشويش الحي للغير الحي ! فليذهب الى الجحيم مدعوا الفن و الجمال في الصحراء ! غير أنه يجب النظر الى مغالطات أخرى وراء هذه. في جميع الأحوال، لا يوجد دواء غير التربية العامة و الجدلية لـ "بلاتون" لمجاهة هؤلاء المدعين.
- "انه لمشروع فرعوني سيكلفنا الملايين !"، هراء مرة أخرى، كون المشروع لن يكلف شيئا ! فعلا، فالعالم الحالي يتسابق في ظل حكم المال و نحن معه نحو الجحيم، فإما أن يتحول الى دكتاتورية لا تحمل أي مشروع على المدى البعيد (تحليل الديون لـ "كوام نكوما" دقيق هنا)، و إما أن يكون الغالب بفضل بعث مشاريع من طينة روزفلت في كنف تحالف روسيا-الهند-الصين من أجل الرقي، و يكون ذلك في شكل أنظمة ضد المالية للقرض الوطني المنتج بين الدول. لقد وضع عالم الاقتصاد "م.لاروش" بشكل دقيق

الشروط. تبعية لذلك، فإن المشاريع الجنونية لـ "ديزرتك" و أخرى "سمارت غريدس" جميعها تحت البحر المتوسط، مكلفة أكثر بمئات المرات و يمكن اعتبارها دون مغالاة كسرقة.

لقد ترك استيلاء المستعمرين على أحسن الأراضي أثارا في الأذهان، و هذا الذي يدعو الى التخوف؛ يجب أن يتم انجاز مشروع من هذا الحجم بتكاثف مجهودات الدول و الأمم.

ككل مشروع جمهوري، يجب تجنيد الناس المعنيين جغرافيا و تسليمهم القيادة، إذ تشكل المياه الوفرة حجة قوية للسكان، كما أن الإطالة على الماضي يعطي معنا ثقافيا دائم التدفق في الأزمات.

ايف بوميبي

ترجمة: أوكريد موسى مع تشكرات الكاتب